مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 05 العدد03 جوان 2022 ص ص: 489ـ508
ر س ع و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

الحروب الصليبية على العالم الإسلامي: حركة الاسترداد في الأندلس نموذجا وأثرها على المغرب الأوسط

Crusades on the Muslim world - reconquista is a model and its impact on the Maghreb Central-

بشير مبارك ♦

المركز الجامعي عبد الله مرسلي تيبازة، mebarek.bachir@cu-tipaza.dz

تاريخ الإرسال: 2022/02/01 تاريخ القبول: 2022/05/07 تاريخ النشر: 2022/06/1

الملخص باللغة العربية: تهدف الورقة البحثية إلى الحديث عن أبرز نماذج الحروب الصليبية التي تعرض لها العالم الإسلامي أواخر العصر الوسيط ولعل أبرزها حركة الاسترداد التي وجهت خصيصا ضد مسلمي شبة جزيرة الأندلس خلال الفترة التي تلت انكسار شوكة دولة الموحدين على يد القوى المسيحية في معركة حصن العقاب التي كان من نتائجها على المدى البعيد استرجاع الأندلس إلى حضيرة القوى المسيحية، إن حركة الاسترداد كانت بدعم من البابوية وعلى رأسها بابا الكنيسة الغربية بحيث وجهت خطابات إلى عموم المسيحيين تحضرهم للحرب المقدسة من أجل استرجاع الأندلس، هذه الحرب كانت لها آثار اجتماعية وعلمية واقتصادية على المغرب الأوسط. خلصت الورقة البحثية إلى جملة من النتائج منها: أن الحرب التي قادها المسيحيون ضد المسلمين في الأندلس تصنف في خانة الحروب الصليبية، هذه الحرب نجحت بتفاعل مجموعة من العوامل في مقدمتها الدور الذي لعبته الكنيسة الغربية، وكذا درجة الضعف الذي وصل إليه المسلمين.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ الحروب الصليبية؛ حركة الاسترداد؛ شبه الجزيرة؛ المسلمين.

Abstract: This research paper aims to talk about the most important crusades against the Islamic world in the Middle Ages, perhaps the most prominent of them is the Reconquista that was directed against the Muslims of the Andalusian peninsula after the defeat of Almohads by the Christian forces in battle of Christianity, This war was supported by the papacy, led by the Pope of the Western Church, so that letters were

♦ المؤلف المرسل

sent to all Christians preparing them for the holy sacrum war in order to restore Andalusia. This war had social, scientific and economic effects on our central Maghreb. The research paper concluded with a number of results including :The war that Christians led against Muslims in Andalusia is classified as the crusades. This war succeed through the interaction of factors foremost of which was the role played by the Western Church, as well as the degree of weakness that Muslims have reached .

Keywords: Andalusia; Crusades; Reconquista; Peninsula; Muslims.

مقدمة: نزل القرآن كرسالة عالمية موجهة للبشرية جمعاء على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فسعى إلى نشره في كامل أنحاء المعمورة مشرقا ومغربا وقبلة وجوفا. لهذا الغرض ربّ أصحابه على أصول الرسالة الصحيحة حتى يوصلوا مبادئه السامية إلى مختلف الأقوام فانطلقت الفتوحات الإسلامية لأجل هذا الهدف لا غير عكس ما روجت له أقلام بعض المستشرقين.

مع انطلاق الفتوحات الإسلامية التي مسّت جزء كبير من أراضي الإمبراطورية الرومانية ظهرت حملات معادية اشتغلت تحت راية الصليب اصطلح عليها " الحروب الصليبية" وجهت ضد العالم الإسلامي بداية من خطبة البابا أيربان الثاني الموجهة إلى جموع الصليبيين في المشرق، هذه الحملات مع مرور الزمن وصلت إلى جنوب أوروبا حيث تحالفت الممالك المسيحية فيما بينها ضد مسلمي الأندلس في إطار حركة الاسترداد الصليبية التي نكّل قادتها بالمسلمين هناك.

اعتبارا لذلك جاء موضوع الحروب الصليبية وحركة الاسترداد موضوع ورقتي البحثية هذه الموسومة بـ:" الحروب الصليبية على العالم الإسلامي – حركة الاسترداد في الأندلس نموذجا وأثرها على المغرب الأوسط"، خلال هذه الورقة البحثية سأحاول إثبات أن ما تعرض له المسلمين بالأندلس من قبل المسيحيين يصنف في خانة الحرب الصليبية الموجهة ضد العالم الإسلامي.

تتمحور الإشكالية التي تطرحها الورقة البحثية في طبيعة حركة الاسترداد في الأندلس، للإجابة عنها يترتب على الإجابة عن تساؤلات فرعية هي:

- ما المقصور بالحرب الصلبية وحركة الاسترداد ؟
- كيف تعامل الصليبيين مع مسلمي الأندلس ؟
- هل كان للكنيسة دور في حركة الاسترداد ؟
- هل يمكن تصنيف هذه الحركة في خانة الحروب الصليبية ؟

- ما الآثار المترتبة عن حركة الاسترداد على المغرب الأوسط ؟

أسئلة تطرح نفسها في هذه الورقة البحثية، للإجابة عنها كان لا بد من استخدام منهج تاريخي معين بالرجوع إلى المادة العلمية المنشورة في مختلف أنواع الكتابات التاريخية التي تناولت الموضوع أو طرقته في أحد جوانبه مع التركيز على المنهج الوصفي، والمقارن، والتحليلي .

1- ضبط المفاهيم (الأندلس، الحروب الصليبية، حركة الاسترداد):

لضرورية منهجية رأيت ضبط المفاهيم الأساسية في الورقة البحثية، هذه المفاهيم متعلقة بالأندلس، الحروب الصليبية، حركة الاسترداد، حتى نوضح بأن ما تعرضت له الأندلس يصب في خانة الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي بدافع انتقامي لا غير.

للإشارة لضبط هذه المفاهيم رجعت إلى العديد من المصادر والمراجع والدراسات كما هو مثبّت في قائمة البيبليوغرافيا .

1.1-الأندلس: يعد فتح شبه جزيرة الأندلس من أبرز الأحداث التاريخية التي ميزت الشطر الغربي من العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط، حيث هدف الفتح إلى نشر تعاليم الإسلام في الأقاصي، وحماية حدود الدولة الإسلامية من غارات الأعداء، فالفتوحات الإسلامية لم تتوقف لما كان لجند المسلمين القدرة والإلهام على مواصلة الفتح، فبمجرد أن استقر أمرهم ببلاد المغرب خلال ولاية موسى بن نصير القرشي وجّه الفاتحون أنظارهم صوب شبه جزيرة الأندلس مستغلين الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها خلال الحكم القوطي، وتم لهم فتحها قبل نهاية القرن الأول الهجري (06م) .

تطرقت مجموعة من كتب الجغرافيا والرحلات وحتى كتب التاريخ العام إلى التعريف بالأندلس ولكثرتها اخترت نماذج منها حتى أحدد معنى الكلمة.

تعود تسميتها بهذا الاسم – الأندلس-حسب ما ذكر المقري في نفح الطيب إلى" أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح لأنه نزلها، وقيل أنه أندلس بن يافث، وأخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها وإليه تنسب سبتة..."[1]، في حين ذكر المراكشي أنها

1 - المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج01، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص 126 .

عرفت قديما عند الروم بجزيرة أشبانية، دانت بالصائبة، ثم انتقلت إلى النصرانية أيام تبعيتها لروما، ثم أصبحت إسلامية بعدما فتحها المسلمون في شهر رمضان من سنة (92هـ/710م)[2].

صنّفها بعض الجغرافيين ضمن الإقليم الشامي باعتبار تطابق خصائصه مع خصائص بلاد الأندلس" الاعتدال، والتراب، وعذوبة المياه، وطيبة الهواء"، قال عنها عبيد البكري:" الأندلس شامية في طيبها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها ..."[3].

تتخذ شبه الجزيرة شكل مثلث[4]، تكفي مسيرة شهران لزيارة مدنها التي تبلغ أربعين مدينة[5]، تقع على حافتها مجموعة من البحار بحيث حدّها الجنوبي البحر الرومي(بحر مانطس)، وحدّها الشمالي والمغربي البحر الأعظم (بحر أقيانس، أو بحر الظلمة)، وحدّها المشرقي في الجبل الذي فيه هيكل الزّهرة الواصل ما بين البحرين السابقين وهو الحاجز ما بين الأندلس وبين بلاد إفرنسة من الأرض الكبيرة أرض الروم [6]، من أشهر مدنها اشبيلية، قرطبة، والمرية، ومرسية، وشلب، وجيان، أغرناطة، وبلنسية، ومالقة، ودانية[7]، هذا الموقع أعطاها مكانة استراتيجية هامة الأمر الذي يفسر إقدام المسلمين على فتحها وتكرار الممالك الصليبية المحاولات لاسترجاعها من أيديهم .

أما عن سكانها فقد استقر بها منذ القدم أي بعد الطوفان قوم مجوس يعرفون بالأندلش وبهم سميت الأندلس، ولأفعالهم عاقبهم الله فغاضت المياه والعيون وافترق في البلاد وبقت المنطقة خالية من السكان ما يقارب المائة سن إلى أن دخلها الأفارقة، هؤلاء

2 - المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط 02، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م، ص264 .

3 - المقري، المصدر السابق، ص 126 .

4 - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج02، ط 02، تحقيق ومراجعة ج.س كولان، و إ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980م، ص 02 .

5 - المقري، المصدر السابق، ص 128 .

6 المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 07-08 .

7 - المصدر نفسه، ص 09.

الأفارقة تغلب عليهم الإشبان فأخرجوهم، ودخلها أيضا البشترلقات من رومة[8]، لكن مع ظهور بوادر الضعف في روما طرأ على المنطقة عنصر البرابرة الذين زحفوا على أراضي الإمبراطورية لأسباب متعددة ومن هؤلاء نذكر عنصر الألان، والوندال، والسويف[9]، والقوط الغربيون الذي انقضوا على عنصر السويف فهزموهم شر هزيمة سنة 456م[10]، هؤلاء استمروا في حكمهم إلى أن تمكن المسلمون من فتح المنطقة على يد طارق بن زياد[11].

2.1-الحروب الصليبية: فكرة الحروب الصليبية فكرة قديمة ترجع إلى الألف الأولى من معاناة المسيح بعد الصلب وتعتبر فكرة العالم الآخر أحد أبرز منابعها[12]، بدأت أحداثها رسميا سنة (488هـ/ 1095م)، بموجب الخطبة التي ألقاها البابا أربان الثاني(raban02) (1088-1099م) في حشود المستمعين الذين اجتمعوا في حقل فسيح في أوفريني بكليرمون جنوب فرنسا، مضمونها دار حول ضرورة شن حملة تحت راية الصليب ضد مسلمي فلسطين[13].

إذن من خلال النص يتضح أن الحرب الصليبية التي دعا إليها البابا أربان الثاني كانت موجهة ضد العالم الإسلامي تلك الخطبة بنى عليها الصليبيون هجماتهم اللاحقة ضد العالم الإسلامي مشرقا ومغربا.

---

8 - ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص02- 03.

9 - R. Dozy Histoir des MUSULMANS D' ESPAGNE JUSQU'A LA CONQUETE DE L'ANDALOUSIE PAR LES ALMORAVIDES (711-1110), NOUVELLE EDITION REVUE ET A JPUR E. LéVI – PROVENCAL, TOME 1(LIVRE 1, LIVRE 2), LIBRARIE ET LIMRIMERIE, CI-DEVANT.J. BRILL s. A, LEYDE -1932 , P 30

10 - ibid , P 32.

11 - تشير النصوص إلى أن عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن الحصين الفهريان في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه هما أول من دخلا المنطقة من المسلمين من جهة البحر، وثالثهما طريفا سنة 91هـ، ورابعهم طارق بن زياد أول من فتحها في نفس السنة ثم لحق به موسى بن نصير سنة 95هـ ينظر:ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 04.

12- قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، إشراف مشاري العدواني، عالم المعرفة، صدرت السلسلة في يناير 1978م، ص 13.

13- قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 07-08.

ما يجب الإشارة إليه أن الحملات الأولى لم تحمل مصطلح" الحروب الصليبية" بل حملت مصطلحات أخرى في صورة:(Crusesignati) ومعناها "الموسوم بالصليب" للتعبير عن الصليبيين الذين خاطوا صلبان القماش على ستراتهم، هذا وتتفق الدراسات أن كلمة الحركة الصليبية بدأ ظهورها خلال القرن السابع الهجري (13م) وكان في البداية كل من شارك في الحملة الصليبية يوصف بأنه من الحجاج (Preregrini) واستعملت عبارات أخرى منها: رحلة الحج (peregrinotio) كما استعملت كلمة الحملة (Expeditio) وعبارة "الرحلة إلى الأرض المقدسة" (Iter in terramsanctam) وكذا مصطلح " الحرب المقدسة (Guerre Saint Sacrum) أو مشروع يسوع المسيح (Negotium Jhesus Christi) وهناك الكثير من المصطلحات التي لا يتسع المجال لذكرها[14] .

ووجد من المؤرخين الغربيين من أطلق على الحروب الصليبية مصطلح "تاريخ الأعمال التي تمت وراء البحار" في صورة وليم الصوري رئيس أساقفة صور الذي قيّد كتابا بنفس التسمية. [15]

هذه الحملات أصبحت مثالا يعبر عن الشجاعة والتضحية بالنفس لأن مقصدها نبيل وأهدافها سامية حسبهم لذلك أضحت الحرب الصليبية من المواضيع التي رسخت في ذهن الخريج العادي من الجامعات الغربية خلال العصر الوسيط بفعل نجاح الدعاية الإعلامية التي رسمت صورة براقة عنها.[16]

3.1 - حركة الاسترداد: أما حركة الاسترداد فهي تلك الحروب التي أطلقتها الممالك المسيحية الاسبانية على الحروب التي خاضتها ضد الوجود الإسلامي في الأندلس غايتها تنتهي عند محو الوجود الإسلامي منها لا السيطرة على الأرض فقط وهي حروب أسست على نظرية الأحقية في الأرض واستردادها. بمعنى إعادة شبه الجزيرة إلى المنظومة المسيحية وإخراجها من المنظومة الإسلامية وبالتالي فإن حروب الاسترداد أسست على أساس الانتقام والعدوان ونكث العهود والمواثيق[17]م.

14- المرجع نفسه، ص 10 .

15- وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، ج 02، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 05 .

16- قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 10.

17- عامر ممدوح (09-05-2019م)، حروب الاسترداد: تفكيك المصطلح وتبيان الدلالة،

انطلقت حروب الاسترداد مبكرا في شبه الجزيرة من منطقة أستوريس (Asturias) التي ظلت في حكم المجهول في الكتابات التاريخية الإسلامية وفي المقابل نالت شهرة واسعة في الكتابات التاريخية المسيحية كونها المنطقة الأولى التي انطلقت منها حركة مقاومة الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة. عرفت عند المؤرخين باسم حركة الاسترداد الإسبانية (Al reconquista) بداية من سنة (98-717هـ/898-1492م) بقيادة القائد بلاي (Pelay) الذي كان له دور كبير في تأسيس هذه الحركة، لذلك اعتبر طابعها اسباني تلقت الدعم الخارجي بعد أن تسربت إلى شبه الجزيرة الأنظمة الديرية على رأسها نظام كلوني (cluny) ونظام سيستسرسي (Cistercy) نعتت حروبها بأنها حروب مقدسة ومنحها امتيازات خاصة بعد أن أبدى البابا أنوسانت الثالث (Inocente3) (595-613-هـ/1198-1216م) ذو الأصول الإسبانية حماسة منقطعة النظير لهذه الحركة. وبذلك اتخذت الحركة من الدين عاملا مساعدا فتم تأسيس النظم الديرية العسكرية في اسبانيا[18] وزاد دعم الكنيسة لها لإنهاء التواجد الإسلامي، هذه الحركة تعززت أركانها واتخذت مخططات شاملة استغلت ضعف الكيان السياسي في الأندلس[19] .

تعتبر معركة كوفادونكا (Covadonga) بمثابة الانطلاقة العسكرية للحركة إذ يعتبرها الاسبان باكورة الانتصار الذي حققته حركة الاسترداد الإسبانية بفعل الدعم الديني الكبير[20]دفاعا عن النصرانية واسترداد اسبانيا لحظيرة الكنيسة[21] .

إن ما يؤكد أن حركة الاسترداد ما هي سوى استمرار للحملات الصليبية خطاب البابا أوربان الثاني (raban 02) (481-491هـ/1088-1099م) صاحب أولى الحملات الصليبية الموجه للمطران برنارد (Bernardo) وعدد من القساوسة الإسبان بعدم المشاركة في الحروب الصليبية بالمشرق نظرا لوجود حربا صليبية ضد مسلمي الأندلس وأتبع خطابه

---

https://portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/65977ef6-804b-45ec-b53-8e119c8b1076. 2021-11-25م ،

18- قاسم عبد سعدون الحسيني، **"حركة الاسترداد الإسبانية (الريكونكيستا) قراءة في المصطلح والمضمون"**، مدارات تاريخية-دورية دولية محكمة ربع سنوية، مركز المدار المعرفي، الجزائر، المجلد الثاني، الجزائر، العدد الخامس، مارس 2020م، ص 302.

19- قاسم عبد سعدون الحسيني، المرجع السابق، ص 299-300.

20- المرجع نفسه، ص 301 .

21- نفسه، ص 302.

بمرسوم حرّم من خلاله مشاركة الفرسان الإسبان في الحرب الصليبية على المشرق[22]، وكحتمية منطقية نتيجة الخطاب والمرسوم الديني التحاق الكثير من المحاربين الإسبان بحركة الاسترداد.

كان للجماعات الدينية العسكرية دورا كبيرا في نجاحها إذ ظهرت أول مرة خلال الحروب الصليبية على المشرق في صورة جماعة:"الداوية والاسبتارية"، هذه الجماعات امتد توسعها فوصل الأندلس بحيث استعانت بها الممالك المسيحية في حربها ضد المسلمين[23].

هنا يجب الإشارة إلى نقطة مفصلية بأنه لا يستبعد أخذ فكرة إنشاء الجماعات العسكرية من عند المسلمين الذين اشتهروا بإقامة ما يسمى بنظام الرباط الذي اشتهر بها المرابطين.

كما كان للأديرة الدينية دورا في تحقيق أهداف الحركة في صورة الأديرة الكولونية التي ظهرت بجنوب فرنسا وشجعت على الانضمام للحملات الصليبية ضد الأندلس وعملت على نشر الحماس الديني، نتيجة نشاط هذا الدير بدأت عملية ترويج فكرة إنشاء الأديرة الدينية العسكرية في اسبانيا لمحاربة المسلمين ويعتبر ألفونوسو الأول أول ملك أراغوني عزم على إنشاء جماعة الفرسان الدينية وذلك قبل أن تؤسس أي جماعة دينية بالمشرق[24].

إن حركة الاسترداد منذ نشأتها إلى غاية نجاحها في طرد مسلمي الأندلس لم تحافظ على نفس قوتها بحيث مرت بفترات طويلة من الضعف خاصة لما كان المسلمين أقوياء على عهد دولة الأموية، ودولة المرابطين، ودولة الموحدين قبل ضعفهم، وبالتالي فإن ضعف المسلمين نتيجة الصراع ساعد هذه الحركة في تحقيق أهدافها التي سطرتها منذ انطلاقتها.

إذن من خلال الشرح السابق للمصطلحين-الحروب الصليبية، حركة الاسترداد- يتضح أنهما مشروعين مسيحيين يهدفان إلى السيطرة على العالم الإسلامي والانتقام من

22- نفسه، ص 304.

23- كرنيف نرجس،" **دور الجماعات الدينية الحربية في حركة الاسترداد البرتغالية**"، مجلة هيرودت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، المجلد 05، العدد 03، 2021م، ص 143.

24- كرنيف نرجس، المرجع السابق، ص 144.

المسلمين وما الخطاب الذي أدلى بها البابا أوربان الثاني إلا دليل كاف على ذلك وهذا ما سنوضحه خلال حديثنا عن مجريات حرب الاسترداد التي كانت الأندلس مسرحا لها.

2- حركة الاسترداد حرب صليبية ضد مسلمي الأندلس:

عرف العالم الإسلامي خلال الفترة التي تزامنت مع بداية انهيار دولة الموحدين حربا صليبية بالمشرق الذي شهد حركة الغزو المغولي الذي قوّض أركان الخلافة العباسية، ونتيجة لهول ما تعرضت إليه أراضي الخلافة أحجم بعض المؤرخين – عز الدين بن الأثير- عن التأريخ لهذه الحادثة فقال:" لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليها رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه نعي الإسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا...".[25]

إذن طالت أيادي الصليبيين كل ما هو حضاري ثقافي حسب ما صورت لنا المصادر الإسلامية بشاعة الغزو، فوصفتها بالحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام " ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم، منها هؤلاء التتر قبّحهم الله أقبلوا من المشرق، ففعلوا الأفاعيل التي يستعظمها كل من سمع بها"[26] فقد قام جنكيزخان سنة (617هـ/1218م) بإحراق الكتب والنفائس العلمية في مدينتي بخارى ونيسابور وعمل هولاكو على احتلال مدينة بغداد سنة (656هـ/ 1258م) وأتى على المصنفات والمؤلفات التي كانت بخزائنها وألقى بها في مياه دجلة حتى صار النهر معبرا للناس، ولم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلى الفقهاء والعلماء والأدباء والمدرسين فقتلوا وشردوا العديد منهم، كما مسّت الحروب الصليبية مصر والشام جراء الغزو الإفرنجي "ومنها خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب إلى الشام وقصدهم ديار مصر"[27].

أما الأندلس فقد كانت مصرحا لحرب سماها المؤرخون بحرب (حركة) الاسترداد التي لم تتوقف عند إبادة المسلمين وتشريدهم، بل لم تنجوا حتى خزائن الكتب فأحرقوا وصادروا وأتلفوا عددا كبيرا من الكتب والمخطوطات الموجودة بخزائن الحواضر الأندلسية.

25- ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ، المجلد 12، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص 358.
26- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 306.
27- المصدر نفسه، ص 360- 361.

السؤال المطروح هنا هل ما تعرضت له الأندلس من هجمات يصنف ضمن خانة الحروب الصليبية ؟

هذا السؤال سنحاول الإجابة عليه خلال حديثنا عن أطوار حرب الاسترداد ومن ثم يمكننا إصدار حكم في أي خانة تصنف حركة الاسترداد؟ هل في خانة الحروب العادية ؟ أم في خانة الحروب الصليبية ؟

نجح المسلمين في فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد أولا ثم موسى بن نصير ثانيا مع نهاية القرن الأول للهجرة (06م) متخذين من قرطبة حاضرة لهم وبقوا في المنطقة ما شاء الله من الزمن الذي قارب ثمانية قرون، لكن مع مرور الزمن بدأ الضعف يدب في أوساطهم إذ أصبح المسلمون يتحالفون مع الكفار ضد بعضهم البعض ولنا في دول ملوك الطوائف مثال كاف، فلولا تدخل القائد المرابطي يوسف بن تاشفين وتبعه على نفس النهج بقية أمراء الدولة ومن بعدهم خلفاء دولة الموحدين في الدفاع عن الأندلس، لكان سقوطها مبكرا عن التاريخ المعلوم (898هـ/1492م).

الضعف الذي وصلت إليه الأندلس لا يمكن تفسيره سوى بالرجوع إلى ماضي دولة الإسلام والعوامل التي جعلتها تتسيد العالم خلال وقت وجيز وفي مقدمتها الأسس التي أقام عليها النبي صلى الله عليه وسلم دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة، تلك الأسس مع مضي السنين تم التخلي عنها فكان مصير الدولة الضعف ثم السقوط، ولنا في الأندلس مثال كاف.

إن الوهن الذي عرفته الأندلس استغله أعدائها من المسيحين بحيث تحالفت الممالك المسيحية الأربعة "أراغون، وقشتالة، وليون ومملكة الشمال"،[28] فيما بينها ضد شبه الجزيرة فأرسلوا جواسيسهم إلى مختلف مدنها يدرسون نقاط قوة المسلمين ونقاط ضعفهم ولما علموا بالوهن الذي وصلوا إليه عزموا على طردهم منها فجهزوا جيوشهم لخوض المعارك الطاحنة ضد المسلمين ولعل معركة حصن العقاب مع الموحدين سنة (609هـ/1212م) من أبرز المعارك التي خاضتها الممالك المسيحية الإسبانية ضد المسلمين وكان من نتائجها بداية تقويض التواجد الإسلامي في المنطقة واستطاعت أن تفرض منطقها على العديد من الحواضر الأندلسية .

وكان ضعف بلاد العدوة المغربية من العوامل التي سهلت على الممالك الصليبية استرجاع الأندلس من يد المسلمين بعد سقوط دولة الموحدين إذ انقسمت هذه

28- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 229.

الرقعة الجغرافية إلى ثلاثة كيانات سياسية متناحرة فيما بينها المرينيين بالمغرب الأقصى، والزيانيين بالمغرب الأوسط، والحفصيين بالمغرب الأدنى، علما أن هذه الممالك قد قدّمت الدعم للأندلس لكن ذلك التناحر أدى إلى ضعفها الأمر الذي استغلته الممالك الصليبية فتشجعت على طرد ساكنة الأندلس الذي اختاروا العديد من بلدان العالم الإسلامي كمستقر لهم.

إن العوامل السابقة سهلت عملية سقوط المدن الأندلسية الواحدة تلوى الأخرى في يد المسيحيين النصارى "وحين كانت المعارك الطاحنة دائرة في المغرب بين المأمون وابن أخيه المعتصم، كان النصارى يستولون على بلاد المسلمين في الأندلس حصنا بعد حصن ومدينة بعد مدينة"[29] فسقطت ميورقة عام (627هـ/1229م) وقرطبة عام (633هـ/1235م) وبلنسية عام (636هـ/1238م) ودانية عام (641هـ/1243م) وشاطبة عام (644هـ/1246م) ومرسية عام (664هـ/1265م)، ويضيف القلصادي عن سقوط بقية المدن الأندلسية في صورة سبتة، ومالقة، ورندة، وبسطة، ووادي آش ثم غرناطة أخيرا قائلا:" وتجمعت نتائج الأوضاع حيث سقطت سبتة سنة(818هـ/1415م) ومالقة سنة(892هـ/1486م) ورندة بجنوب الأندلس سنة(889هـ/1484م)، وبسطة عام (894هـ/1488م)، وألمرية سنة(895هـ/1489م) وفي 22 جمادى الآخرة بدأ الحصار الطويل لقاعدة غرناطة حتى استسلمت في الثاني من ربيع الثاني من سنة(897هـ/1491م)..."[30].

علما أن الموحدين لم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع بل طلبوا الدعم من العدوة المغربية فاستغاث زيان بصاحب إفريقية أبي زكرياء بن أبي حفص لما استولى ملك برشلونة النصراني على بلنسية، أما بنوا الأحمر في غرناطة فقد أعلنوا الجهاد في وجه الصليبيين حتى تمكنوا من استرجاع بعض المدن[31]، وكان المؤرخ الشهير أبا عبد الله بن الأبار القضاعي قد أوصل رسالة هذا محتواها:

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ الله أَنْدَلُساً ** إن الـــسبيـــل إلى مَنْجـــاتِهَـــا درساَ**

وَهَبْ لَها مِنْ عَزِيزِ ما الْتَمَسْتَ ** فَلَمْ يَزَلْ مِنْـــكَ عِزُّ النـــصرِ مُلْتَمَساَ**

29- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 239.

30- القلصادي أبو الحسن الأندلسي (ت 891هـ/1486م)، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج، تونس، 1978م، ص 21-22.

31- المقري المصدر السابق، ج 06، ص –ص 200-204.

وحَــاشَ مِمَا تُــعــانيهِ حَشَاشِــئُهَا ** فَطَالَمَا ذَاقَتْ البَلوَى صَبَاحَ مَسَا**

يا لَلْجــزِيرَةَ أَضْـحـى أَهْــلُهَا جَزَرَا ** لِلْحَادِثَاتِ ومَسَاجِدُهَا تَعَسَا**[32]

الوضع القائم في دول العدوة لم يسمح بتقديم الدعم اللازم إذ لم تكن بالقوة الكافية وذلك بسبب الصراعات السياسية السائدة والحالة العسكرية المتردية أواخر أيام دولة الموحدين إذ زاد الصراع والتناحر من أجل وراثة العرش الموحدي[33].هذا الواقع جعل الصليبيين في موقع قوة فزاد التحالف بينهم عن طريق التصاهر إذ حصل اتفاق بين مملكتي قشتالة وأراغون وصل إلى حد التصاهر "فرديناند الثاني وإيزابيلا الكاثوليكية" وشرط الزواج إخراج المسلمين نهائيا من الأندلس.[34]

لتحقيق هذا الشرط كثر طغيانهم واعتدائهم على المسلمين الذين توالت نكباتهم بسبب الفتن التي أكلتهم كما تأكل النار الهشيم يقول المقري:" ... وهو أن كبير دين النصرانية الذي إليه ينقادون وفي مرضاته يصادقون ويعادون وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون لما رأى الفتن قد أكلتهم خضما وقضما وأوسعتهم هضما ... فرمى الإسلام بأمة عددها القطر المنثال وأمرهم وشأنهم الإمتثال أن يدمنوا لمن ارتضاه من أمته الطاعة ويجمعوا في ملته الجماعة...". [35]

من خلال النص يظهر أن ما قام به الصليبيون اتجاه مسلمي الأندلس هو شيء فضيع لا يمت بصلة التسامح الذي جاءت به الديانة المسيحية كما كانت تدعي الكنيسة وهذا العمل يصنف ضمن الحرب الصليبية التي شنتها الكنيسة ضد كل ما هو مسلم أو يرمز للإسلام منذ أن بزغ نور الإسلام خاصة وأن هذه الحرب الشعواء كانت بمباركة الكنيسة ويظهر ذلك في نص المقري عند قوله:" كبير المسيحية" وما يؤكد بأنها حرب صليبية ذلك التزاوج الذي حصل بين الملكة الكاثوليكية والملك فارديناند الثاني، علما أن هذه الحرب— الحرب الصليبية- مازالت مستمرة ضد المسلمين حتى يومنا هذا لكن بطرق ووسائل أخرى .

32- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

33- عبد الواحد نون طه وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ط 01، دار المدار الإسلامي بيروت، لبنان، 2004م، ص 405-406.

34- كارل بروكلومان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط 01، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ، 1948م، ص 343.

35- المقري، المصدر السابق، ج 06، ص —ص 188-200.

وما يثبت قولنا هذا قد أكدته مجموعة من النصوص التي ذكرت بأن النصارى لم يكتفوا بالسيطرة على المدن الأندلسية بل شردوا أهلها وعذبوهم وهتكوا عرض نساءها من المسلمين" ... وكان الفرنج لعنهم الله لما استولوا على أهل المدينة يفتضون البكر بحضرة أبيها والثيب بعين زوجها وأهلها. وجرى من هذه الأحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط ... ومن لم يرض منهن أن يفعل في خادم أو ذات مهنة أو خشي الواحد من أراذل الناس وحظارهم أعطاهن غلمانه يعيثون فيهن عيثة...". [36]

وفي هذا الشأن يضيف المقري عند حديثه عن حال الأندلس وأهلها جراء الممارسات الإرهابية المسيحية ضد مسلميها بأمر من قادة الكنيسة فيقول:" وإن تشوفتم إلى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين بمقتضى الدين المتين ... فاعلموا أننا في هذه الأيام ندافع من العدو تيارا ونكابر بحرا زخارا ... فإذا القوس الأعظم قيوم دين النصرانية الذي يأمرها فتطيع ومخالفته لا تستطيع رمى هذه الأمة الغريبة المنقطعة منهم بجراد لا يسد طريقها ولا يحصي فريقها ..." [37].

للإشارة هذه الممارسات اللاإنسانية ضد مسلمي الأندلس جاءت بعدما استوثق النصارى أهل الأندلس عامة وأهل غرناطة خاصة ومضمون الميثاق كان كالآتي:" ... وفي ربيع الأول من سنة (897هـ/1491م) استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة... وكانت الشروط منها: تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباءهم وعقارهم ومنها إقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف. وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغتصبوا أحدا ومن أراد الرجوع إلى العدوة لا يمنع ..." [38].

إن السؤال المطروح حول مضمون الميثاق هل فعلا حافظ النصارى الصليبيين على ما قطعوه مع المسلمين من شرط الأمان على كل شيء وفي مقدمتها النفس ؟

الجواب هو لا فالصليبيين راحوا بعد بضع سنين من سقوط غرناطة إلى إنقاض فصول المعاهدة بندا بندا " ... ثم إن النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة ...وفرضوا على المسلمين التنصر بداية من سنة (904هـ/1498م) وزاد تماديهم إذ وصفوا من بقي على دين الإسلام بالكافر، فخاطبوا الرجل المسلم بقولهم :"إن جدك كان نصرانيا

36- المقري، المصدر السابق، ج 06، ص 193.
37- المقري، المصدر السابق، ص 186.
38- المصدر نفسه، ص 277.

فأسلم فترجع نصرانيا...فكان من نتائج هذه الحرب الصليبية أن تنصر أهل الأندلس على آخرهم في الحواضر والبوادي ومن امتنع عن التنصير واعتزل النصارى لم ينفعه اعتزاله إذ اجمع عليهم جموع الصليبيين واستأصلوهم عن آخرهم إما بالقتل أو بالسبي[39].

ذلك القهر الممارس على المسلمين بشبه الجزيرة الإيبيرية صنّف عند شريحة من المؤرخين في خانة الحرب الأهلية التي من نتائجها تشتيت الساكنة وتبديد وحدتها وقوتها[40].

إذن من خلال ما تم عرضه من نصوص نصنف ما تعرضت له الأندلس من هجمات صليبية ضمن خانة الحروب الصليبية الموجهة ضد العالم الإسلامي .

إن حركة الاسترداد الصليبي تعتبر من أقوى دوافع هجرة الأندلسيين قصرا إلى مختلف البلاد الإسلامية وفي مقدمتها بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، وهنا يجب الإشارة إلى أن هجرات هؤلاء انطلقت بأفواج كبيرة بعد هزيمة الموحدين على أيدي القوى الصليبية في موقعة حصن العقاب (los navas tolose) سنة (609هـ/1212م) إذ لم تقم للمسلمين بعدها قائمة في الأندلس[41].

3-أثر هجرة الأندلسيين على المغرب الأوسط:

أمام الوضع السابق الذي عانى منه أهل الأندلس جراء الإرهاب الممارس عليهم من قبل الصليبيين أصحاب الكنيسة بعد انكسار شوكة الموحدين في المعركة المذكورة سلفا ما كان لأهل الأندلس سوى المغادرة نحو العدوة المغربية وضمنها المغرب الأوسط وباقي حواضر البلاد الإسلامية، يقول ابن خلدون:" وأما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد...".[42]

يتضح من خلال نص ابن خلدون أنه قد هاجرت قصرا أفواج لا تعد ولا تحصى من مسلمي الأندلس بفعل حركة الإسترداد (la reconquista).

39- نفسه، ص 279.

40- القلصادي المصدر السابق، ص 18.

41- كمال السيد أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2003م، ص 212.

42- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004م، ص 401.

علما أن هجرات الأندلسيين صوب المغرب الأوسط لم ترتبط بأواخر الفترة الموحدية كما أشرنا سلفا بل كانت خلال فترات سابقة لها فتشير النصوص إلى أن أول اتصال لهم بالمنطقة كان خلال القرن الثالث الهجري (09م) بهدف ممارسة مختلف الأنشطة التجارية وهذا ما ساعدهم على تكوين مراكز تجارية أندلسية يأتي في مقدمتها مركزي تنس ووهران الساحليتين، ثم تواصل توافدهم على المنطقة بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس سنة (422هـ / 1030م) وهنا نقصد أيام دول ملوك الطوائف،[43] ثم كثرت هجراتهم صوب المنطقة بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في بلاد العدوة – الأندلس- وبالتالي فإن توافد الأندلسيين على بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة لم يكن مع سقوط غرناطة بل سبقه بحوالي أربعة قرون .

المهاجرون الأندلسيون بالمغرب الأوسط وباقي البلاد الإسلامية قد وجدوا الترحيب من قبل السلطات السياسية وحتى من قبل عامة الشعب، حيث استقبلتهم الدولة الزيانية التي كانت لها علاقة طيبة مع الأندلس وأهلها إذ تولى ثلة من هؤلاء مناصب حساسة في البلاط الزياني،[44] في هذا الشأن وضح القلصادي طريقة استقبالهم من قبل حكام الدولة الإسلامية قائلا:" ...إن بعض علماء الأندلس ومفكريها آثروا الهجرة من هذه البيئة التي أخذت تنحدر نحو الهوان ... فقصدوا بعض أنحاء من البلاد الإسلامية التي فتحت ذراعيها تحتضن الوافدين من الجزيرة الجريحة الباحثين عن جو أنسب وأرحب لممارسة نشاطهم العلمي".[45]

من خلال النص نفهم أن هجرة الأندلسيين لم تقتصر على فئة معينة كالعامة أو العلماء وإنما مسّت كل الفئات بما فيها العلماء والعامة والحرفيين وغيرهم وكتب التراجم مليئة بمثل هكذا أخبار.

على وجه العموم مسّت هجرة الأندلسيين العديد من حواضر ومدن المغرب الأوسط في صورة (تلمسان، جزائر بني مزغنة، بجاية، ندرومة، هنين...)، وغيرها من أمصار الدولة الزيانية وبالتالي فإنّ هجرتهم لم تكن صوب مدينة واحدة بل مسّت أغلب مدن الدولة، لكن المدن الساحلية كانت أكثر جلبا لهم لخصوصياتهم من جهة وقربها الجغرافي من الجزيرة من جهة أخرى إضافة إلى توفرها على الموانئ التي كانت تقلهم من

43- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية، ج 03، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 20047م، ص 224

44- مختار حساني، المرجع نفسه، ص 221.

45- القلصادي، المصدر السابق، ص 26.

الأندلس صوب المغرب الأوسط أو من المغرب الأوسط صوب الأندلس في صورة ندرومة، هنين، شرشال، فكان من هؤلاء عدد لا يحصى من العلماء والفنانين والأدباء الذين وجدوا حفاوة الاستقبال والكرم والجود من قبل ملوك الدولة العبدوادية الزيانية،[46] فيما يأتي سنذكر نماذج من الحواضر التي استقرت بها الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط:

نزلت الجالية الأندلسية بتلمسان وأعمالها هذه المدينة كان لها حظ وافر من هجراتهم. إذ وفد إليها أشهر الأدباء آنذاك لعل أبرزهم أبو بكر بن الخطاب على إثر فتنة وقعت بمرسية أواسط القرن السابع الهجري (13م) كان فقيها شاعرا وناثرا فكان تأثيره واضح في دفع عجلة الحركة الأدبية بالعاصمة تلمسان.[47]

كما نزلت الجالية الأندلسية بوهران فتذكر المصادر أن هؤلاء أعادوا تأسيس وترميم المدينة بداية من سنة (292هـ/904م) وما يؤكد توافد الأندلسيين إليها هو أن أحد الشواطئ القريبة من المدينة عرفت باسم " الأندلسيات"، كما أشارت بعض الوثائق إلى وجود مجموعة من الأندلسيين في المرسى الكبير[48]، وقد هاجر إليها آخر سلاطين غرناطة أبو عبد الله بن سعد الزعل وهاجر معه عدد كبير من سكان غرناطة.[49]

وقصد البعض الأخر منهم مدينة شرشال التي كانت خالية وأصبحت عامرة بعدما قصدها أهل غرناطة على وجه الخصوص فأعادوا بناء دورها وجددوا قلعتها وصنعوا فيها كثير من السفن واشتغلوا بصناعة الحرير.[50]

واختار البعض الآخر منهم حاضرة بجاية كوجهة استقرار وكان من بين من استقر فيها الأطباء يأتي في مقدمتهم أبو العباس أحمد بن خالد (ت 660هـ/1262م) من أهل مالقة وفقيهها، كان له باع في علم الطب، ساهم في الرقي الحضاري لبجاية والمغرب الأوسط حيث جلس بالمدينة للإقراء وكان يقرأ عليه في منزله خلق كبير ويعتبر كتاب

46- شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص 401.

47- الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 209.

48- مختار حساني، المرجع السابق، ص 238.

49- يحيى بوعزيز، وهران، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص 60.

50- الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف افريقيا، ج02، ط02، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص 34.

الإشارات والتنبيهات لابن سينا من أبرز الكتب التي كان يدرسها لطلبته[51]، واستقر بها أيضا مع بداية العهد الزياني أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن إندراس من أهل مرسية اختص بمهنة الطب استفادت منه المدينة وأهلها قال عنه الغبريني:" ... ورد على بجاية في عشرة وستين وستمائة مستوطنا وتبسط للطب طبيبا... حضر لدرسه نبهاء الطلبة"[52]، كما استقر بها "...العالم أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني (614-699هـ/1217-1297م) من أهل شاطبة رحل من العدوة الأندلسية واستقر ببجاية فاستجاز وأجاز واستمتع واستنفع به خلق كثير"[53].

بفضل هؤلاء أصبحت بجاية مهدا للحركة العلمية إذ أصبحت منزلا مفضلا لكثير من العلماء وبذلك ساهمت في ازدهار الحياة العلمية منافسة العاصمة تلمسان خلال القرن السابع الهجري (13م) من خلال المدرسة التي أنشأت بها وتخرج منها كثير من العلماء الأفاضل الذين ساهموا في إحياء العلوم والآداب[54].

إذن كان للهجرات الأندلسية دورا كبيرا في ازدهار الحياة العلمية والفكرية بالمغرب الأوسط فالمتتبع للهجرة الأندلسية يظهر له ذلك جليا، علما أنه قد وجد من الباحثين من قال أن المغرب الأوسط مقارنة بالمغربين الأقصى والأدنى لم يكن مكان ملائم لاستقرار الأندلسيين والنص التالي يوضح ذلك:" أما المغرب الأوسط فلم يكن ملائم لاستقرار الأندلسيين قياسا بتونس والمغرب الأقصى خاصة وأن المغرب الأوسط في الفترة الزيانية منطقة جزء كبير منها تحت النفوذ الحفصي وكانت منطقة تتوسط المرينيين والحفصيين فتكررت الغارات عليها هذه الأوضاع لم تشجع استقطاب المهاجرين الأندلسيين الذين كانوا يرغبون في البحث عن الأمن...."[55].

النص الأخير فيه شيء من القسوة على المغرب الأوسط من قبل الباحث عبد الواحد ذنون طه الذي قال بأن المنطقة لم تكن ملائمة لاستقرار الأندلسيين بسبب الأوضاع الأمنية السائدة فيه ولا ندري ما هي الخلفية من وراء هذا الكلام، لذلك يتوجب

51- الغبريني أبو العباس أحمد (ت 704هـ/ 1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1970م، ص 73.

52- الغبريني، المصدر السابق، ص 75.

53- المصدر نفسه، ص 79.

54- محمد عبد الله عينان، "**مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط**"، مجلة الأصالة، مطبعة البحث قسنطينة، السنة الثالثة، العدد 13، ص –ص 193-197.

55- - عبد الواحد نون طه وآخرون، المرجع السابق، ص 431.

علينا كباحثين جزائريين توضيح الأمر فرغم الهجمات التي تعرضت إليها بلادنا في الفترة الوسيطة إلا أنها كانت موطنا قصده الأندلسيين واستقروا بمختلف حواضره كما أشرنا سابقا وتم استقباله بحفاوة من قبل السلطة الزيانية وعامة الشعب.

للإشارة إن تأثير الأندلسيين بحواضر المغرب الأوسط لم يقتصر فقط على الحياة العلمية بل مس تأثيرهم الجانب المعماري فمن جملة المهاجرين إليه الصناع والحرفيين الذين ساهموا في إعادة تشكيل العمارة اعتمادا على النموذج الأندلسي في البناء مدينة وهران أنموذجا.

كما شمل تأثيرهم في المجتمع الزياني مجموعة من الميادين في مقدمتها الميدان الإداري إذ تقلد الأندلسيين مناصب إدارية في الدولة الزيانية وذلك راجع إلى تحليهم بالأمانة والصدق والسيرة الحسن.[56] .

وظهرت فئة أخرى منهم تسترزق من العلم عن طريق ممارسة التعليم بالمدارس أو المساجد والزوايا، ولا يخفى علينا تفوق هؤلاء في الميدان العلمي إذ استفاد منهم خلق كثير ونشأة بفضلهم فئة من العلماء " ...ظهرت طبقة من العلماء وأسر عرفت بالعلم والفن ونسبت إلى حرفة من الحرف زاولتها في ذلك العهد: سقال، نقاش..."[57] .

لقد تأثر المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة بالرسم الأندلسي بعدما انمحى الخط الإفريقي والقيرواني:" وأما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار ... فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية... وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع ... وغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفى عليه ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما، وصارت خطوط افريقية كلها على الرسم الأندلسي..."[58].

الخاتمة: خلصت الورقة البحثية إلى جملة من النتائج يمكنا حصرها فيما يلي؛

- ما شهدته الأندلس من أعمال إرهابية وإجرامية يصنف في خانة الحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين.

56- مختار حساني، المرجع السابق، ص 227.

57- شاوش الحاج محمد بن رمضان، المرجع السابق، ص 401.

58- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 401.

- إن حركة الاسترداد في الأندلس كانت تحت راية الصليب ودعم الكنيسة المعنوي والمادي.

- من أجل تحقيق غاية الانتقام من المسلمين وقّعت الممالك المسيحية حلف رباعي تم تدعيمه بحلف مقدس عن طريق التصاهر بين فرديناند وإيزابيلا.

- سقوط الأندلس في يد المسيحيين مرده إلى الضعف والصراع القائم بين المسلمين من جهة وابتعادهم عن تعاليم دينهم من جهة أخرى.

- سقوط الأندلس فتح شهية الصليبيين للسيطرة على كامل البلاد العربية الإسلامية التي وقعت تحت راية الاستعمار الأوروبي الحديث.

- رغم السقوط المر للأندلس في يد الصليبيين إلا أن المغرب الأوسط قد استفاد من هجرة ساكنتها خاصة في المجال العلمي.

قائمة المصادر والمراجع:

01.ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت، د ت.
02.ابن خلدون عبد الرحمن، **مقدمة**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004م.
03.أبو مصطفى كمال السيد، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2003م .
04.بروكلومان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 01، 1948م .
05.بوعزيز يحيى، وهران، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م .
06.حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 20047م .
07.الحسيني قاسم عبد سعدون، **"حركة الاسترداد الإسبانية (الريكونكيستا) قراءة في المصطلح والمضمون"**، مدارات تاريخية-دورية دولية محكمة ربع سنوية، مركز المدار المعرفي، الجزائر، المجلد الثاني، العدد الخامس، مارس 2020م، ص — ص 299-313.

08.شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

09.الصوري وليم، **الحروب الصليبية**، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ت.
10.الغبريني أبو العباس أحمد (ت 704هـ/ 1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1970م .

11.قاسم عبده قاسم، **ماهية الحروب الصليبية**، إشراف مشاري العدواني، عالم المعرفة، صدرت السلسلة في يناير 1978م .
12.القلصادي أبو الحسن الأندلسي (ت 891هـ/1486م)، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج، تونس، 1978م .
13.كرنيف نرجس، **"دور الجماعات الدينية الحربية في حركة الاسترداد البرتغالية"**، مجلة هيرودت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، المجلد 05، العدد 03، 2021م، ص- ص 142-153.

14.محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

15.محمد عبد الله عينان، **"مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط"**، مجلة الأصالة، مطبعة البحث قسنطينة، الجزائر، مج 03، العدد 13، ص – ص 193-198

16.المراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج02، تحقيق ومراجعة ج.س كولان، و إ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 02، 1980م .
17.المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2005مـ.
18.المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج01، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، د ت .
19.ممدوح عامر(09-05-2019م)، **حروب الاسترداد: تفكيك المصطلح وتبيان الدلالة**، https://portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/65977ef6-804b-45ec-b53-8e119c8b1076، 25-11-2021م .

20.نون طه عبد الواحد وآخرون، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي بيروت، لبنان، ط 01، 2004م .

21.الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02، 1983م.

المراجع بالأجنبية:

1- R. Dozy Histoir des MUSULMANS D' ESPAGNE JUSQU'A LA CONQUETE DE L'ANDALOUSIE PAR LES ALMORAVIDES (711-1110), NOUVELLE EDITION REVUE ET A JPUR E. LéVI – PROVENCAL, TOME 1(LIVRE 1, LIVRE 2), LIBRARIE ET LIMRIMERIE, CI-DEVANT.J. BRILL s. A, LEYDE -1932